يتميز الجهاز بهيمنة فئة مستقلة عن المجتمع والدولة ، واخذت تتشكل فئة محترفة من السياسيين والضباط والموظفين الذين شكلوا ذواة البرجوازية البيروقراطية المرتبطة مصلحيا مع الامبريالية · واخيرا يبرز الطابع المميز للدولة وطابع التناسب بين مضمونها وجوهرها كجهاز كولونيالي، وبين شكلها ووظائفها من خلال اعتمادها ، اساسا ، على الدعم المالي البريطاني ، حيث « كانت عملية تشكيل الدولة كجهاز كولونيالي بغلاف محلي ـ عربي ، هي العامل الرئيسي الثاني في التمهيد لنمط خاص من التطور التبعي والذي كان عماده الانفاق والمساعدات » ص ١٢٩ · اما الوظيفة الخاصة للدولة وجهازها ونتائج هذه الوظيفة ، فقد كانت « ليس فقط تأمين الاستقرار الداخلي ، وانما ضمان الاستقرار والامن لمناطق الاقتسام البريطاني الفرنسي في فلسطين وسورية وضمان الاستيطان الصهيوني في فلسطين » ص ١٣٠ ·

يظهر توغل المؤلف في البحث العميق لطبيعة الدولة واهداف السيطرة الكولونيالية ، توجهها لاحتواء كامل دور ووظيفة الدولة · الا ان الخلل في بحثه، يبرز في رفعه للخصوصية والتمييز في نموذج السيطرة الكولونيالية في شرق الاردن ، الى درجة النفي الشديد لاية مطامع او مصالح اقتصادية : « ان الفريد والاصيل في نموذج السيطرة الكولونيالية في شرق الاردن ، هو ان الامبريالية لم تستهدف من سيطرتها الانتفاع من ثروات البلاد وخاماتها الطبيعية ولا النهب الاستعماري للثروات الطبيعية ولا الاستنزاف ولا الاستثمار التقليدي لها (···) وكان النمط الخاص من التطور التبعي للاقتصاد الاردني حصيلة سيطرة كولونيالية تستفيد من موقع الاردن الاستراتيجي اساسا لغايات النهب والسيطرة والنفوذ خارج الاردن وليس فيه » ص ١٣٠ · ان ذلك الطابع المطلق للاستنتاج ، بأن الكولونيالية البريطانية ، لم ترغب ، ولم تعمل على استغلال الاردن ونهبه واستنزافه · خاصة وان الكاتب يؤكد المفهوم ذاته وبصيغ مختلفة، ولكن بمعنى واحد ، في عدد من صفحات الكتاب ·

والواقع اننا اذ نوافق على « النموذج الفريد والاصيل في السيطرة الكولونيالية » وعلى الاهداف الاستراتيجية لها في المنطقة ، فان النتائج العملية والفعلية ، لوجودها ، هي ممارسة الكولونيالية بشتى اساليب الاستغلال والنهب عبر الدولة (اداتها) وعبر مشاريعها الاقتصادية ، من اجل توفير الشروط المادية والسياسية لتواجدها ونفوذها في الاردن ، حيث تعزز هذه الشروط ، بالضرورة ، فرض نمط خاص من التطور الكولونيالي الذي يقوم على النهب والاستنزاف · لقد ورد في الكتاب اكثر من دليل على ذلك · مثال ذلك القول انه « على هامش مشاريع الدولة ، نمت ورش الانشاءات الخاصة بالقوات البريطانية » ص ٩٢ · و « ان البلدان والمدن نشأت بفضل السيطرة الكولونيالية » ص ١٥٦ · ان الكاتب نفسه يحتج على الاعتقادات الخاطئة حول طبيعة استنزاف الاردن فيعلن « هناك اعتقاد سطحي . ان الاردن كان بلدا ممولا من الكولونيالية البريطانية ، اكثر مما هو بلد مستنزف وهذا ليس صحيحا » ص ١١٢ ·

لماذا الاخفاق التاريخي لحركة التحرر الوطني الاردنية ؟

بالرغم من اشارة الكاتب في مقدمة الكتاب الى « ان اهتمام هذه الدراسة مكرس لجوانب التطور الاجتماعي ـ الاقتصادي وليس للتطور السياسي » ، الا انه وفي سياق عرضه وتحليله لذلك